**ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات**

***بحث فى : توحيد الصفات***

 *إعداد / أحمد عبد الحميد مهدى*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

*ahmed.mahdey@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات**

**الكلمات الافتتاحيه : العلم ، صفاته ، الايمان**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات**

* ***. . موضوع المقالة***

العلم بأسماء الله وصفاته، وتدبرها، وفهمها على مراد الله أهم العلوم وأشرفها -كما مر؛ لما يثمره من الثمرات العظيمة النافعة المفيدة.

ولقد اعتنى علماء الإسلام -قديمًا وحديثًا- في بيان أسماء الله وصفاته، وشرحها، وإيضاحها، وبيان ثمرات الإيمان بها، فمن الثمرات التي تحصل من جراء الإيمان بها ما يلي:

أولًا: العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله:

فالله خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم؛ فالاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له، وقبيح بعبد لم تزل نعم الله عليه متواترة أن يكون جاهلًا بربه، معرضًا عن معرفته. وإذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم؛ فليس لهم سبيل إلى ذلك إلا التعرف عليه من خلال النصوص الواصفة له، المصرحة بأفعاله وأسمائه، كما في آية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الصمد... وغيرها.

والنفوس العابدة المطمئنة تتطلع للتعرف على معبودها الحق . ولما كان غيبًا لا تراه؛ فلا سبيل لها إلى معرفته إلا بأسمائه وصفاته التي عرّف بها نفسه  في كتابه، أو عرّفه بها نبيه محمد  أو دل عليها بديع خلقه، وعظيم نعمائه، وجزيل عطائه.

ومن عرف أسماء الله وصفاته؛ عرف إلهًا حقًّا، خالقًا رازقًا، ربًّا منعمًا متفضلًا، ملكًا قيومًا فوق سماواته على عرشه يدبر أمر عباده، يأمر وينهى، يرسل الرسل؛ وينزل الكتب، ويرضى ويغضب؛ ويثيب ويعاقب، يعطي ويمنع؛ ويعز ويذل؛ ويخفض ويرفع، يرى من فوق سبع سموات ويسمع، يعلم السر والعلانية، فعّال لما يريد، موصوف بكل كمال، منزه عن كل عيب، لا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.

ومن هنا كانت جناية المعطلة جناية عظيمة؛ بقطعهم الطريق إلى معرفة الله  بنفي صفاته وتعطيل كماله  فكيف يكون إيمان؟! وكيف يكون توحيد عند المعطلة ونفاة الصفات؟! وكيف تؤله القلوب من لا يسمع كلامها ولا يرى مكانها، ولا يحِب ولا يحَب، ولا يقوم به فعل ألبتة، ولا يتكلم ولا يكلم ولا يقرب منه شيء، ولا يقوم به رأفة ولا رحمة ولا حنان، ولا له حكم ولا غاية يفعل ويأمر لأجلها؛ فلا يُتصور الإيمان بمجهول؛ فكيف بمعدوم؟! -تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فمعرفة الأسماء والصفات هي الطريق لمعرفة الله، ومعرفته طريق عبادته كما يحب ويرضى، والعبد يحب أن يتعرف على كل من يتعامل معه، والله -الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته، ونخاف من سخطه- أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها.

ثانيًا: أن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له:

وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه بمعانيها، وأحكامها، ومقتضياتها.

ثالثًا: تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد:

وهذه الثمرة من أجلِّ الثمرات التي تحصل بمعرفة أسماء الله وصفاته، فالشريعة المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريق الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلم بأسماء الله وصفاته يعصم -بإذن الله- من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، ويعين على الصبر، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، واستحضر معانيها أثر ذلك فيه أيما تأثير، وامتلأ قلبه بأجل المعارف والألطاف.

فمثلًا:

- أسماء العظمة تملأ القلب تعظيمًا وإجلالًا لله.

- وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبةً له، وشوقًا إليه، ورغبةً بما عنده، وحمدًا وشكرًا له.

- وأسماء العزة والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعًا وخشوعًا وانكسارًا بين يديه .

- وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات في الجلوات والخلوات، وحراسة للخواطر عن الأفكار الرديئة، والإرادات الفاسدة.

- وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقارًا واضطرارًا والتفاتًا إليه في كل وقت وحال.

رابعًا: الانزجار عن المعاصي:

ذلك أن النفوس قد تهفو إلى مقارنة المعاصي؛ فتذكر أن الله يبصرها، فتستحضر هذا المقام وتذكر وقوفها بين يديه، فتنزجر وترعوي، وتجانب المعصية.

خامسًا: أن النفوس طمعة تتطلع وتتشوق إلى ما في أيدي الآخرين، وربما وقع فيها شيء من الاعتراض أو الحسد، فعندما تتذكر أن الله من أسمائه الحكيم، والحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه؛ عندئذ تكف عن حسدها، وتنقطع عن شهواتها، وتنفطم عن غيها.

كما تطلع العبد على الزهادة في الدنيا؛ فالدنيا زائلة خسيسة، ومن تعلق بالأسماء الحسنى والصفات العلى تبين له حقيقة هذه الدنيا.

قال ابن القيم: فأول شواهد السائر إلى الله والدار الآخرة أن يقوم به شاهد من الدنيا وحقارتها وقلة وفائها وكثرة جفائها وخسة شركائها، وسرعة انقضائها، ويرى أهلها وعشاقها صرعى حولها قد بدعت، خذلتهم بهم، وعذبتهم بأنواع العذاب، وأذاقتهم أمرَّ الشراب، أضحكتهم قليلًا، وأبكتهم طويلًا، سقتهم كئوس سمها بعد كئوس خمرها فسكروا بحبها، وماتوا بهجرها، فإذا قام بالعبد هذا الشاهد منها ترحل قلبه عنها، وسافر في طلب الدار الآخرة، وحينئذ يقوم بقلبه شاهد من الآخرة ودوامها، وأنها هي الحيوان حقًّا، فأهلها لا يرتحلون منها، ولا يظعنون عنها؛ بل هي دار القرار، ومحط الرحال ومنتهى السير، وأن الدنيا بالنسبة إليها كما قال النبي : ((ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه -وأشار بالسبابة- في اليم فلينظر بم ترجع)) رواه مسلم.

وقال بعض التابعين: ما الدنيا في الآخرة إلا أقل من ذرة واحدة في جبال الدنيا، ثم يقوم بقلبه شاهد من النار، وتوقدها واضطرامها وبعد قعرها وشدة حرها وعظيم عذاب أهلها؛ فيشاهدهم وقد سيقوا إليها سود الوجوه زرق العيون والسلاسل والأغلال في أعناقهم؛ فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد انخلع من الذنوب والمعاصي واتباع الشهوات ولبس ثياب الخوف والحذر، وأخصب قلبه من مطر أجفانه، وهان عليه كل مصيبة تصيبه في غير دينه وقلبه.

سادسًا: أن العبد يقع في المعصية، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، ويأتيه الشيطان؛ ليجعله يسيء ظنه بربه؛ فيتذكر أن من أسماء الله: الرحيم، التواب، الغفور؛ فلا يتمادى في خطيئته، بل ينزع عنها، ويتوب إلى ربه، ويستغفره؛ فيجده غفورًا توابًا رحيمًا.

وذلك مما تورثه في العبد من حسن الظن بالله، فالقلب الممتلئ بأسماء الله وصفاته علمًا ومعرفةً يضع الرجاء بالله تعالى وحسن الظن في محله اللائق به، فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتى إحسان الظن.

- فإن قيل: بل يتأتى ذلك ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو.

- قيل: الأمر هكذا، والله فوق ذلك وأجل وأكرم وأجود وأرحم، ولكن إنما يضع ذلك في محله اللائق به؛ فإنه سبحانه موصوف بالحكمة والعزة والانتقام وشدة البطش وعقوبة من يستحق العقوبة، فلو كان معول حُسْن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوه، فما ينفع المجرم أسماؤه وصفاته، وقد باء بسخطه وغضبه وتعرض للعنته وأوقع في محارمه، وانتهك حرماته؛ بل حسن الظن ينفع مَن تاب وندم، وأقلع وبدل السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم أحسن الظن؛ فهذا حسن الظن، والأول غرور.

سابعًا: ومنها أن العبد تتناوشه المصائب والمكاره، فليجأ إلى الركن الركين، والحصن الحصين، فيذهب عنه الجزع والهلع، وتنفتح له أبواب الأمل.

ثامنًا: ويقارع الأشرار، وأعداء دين الله من الكفار والفجار، فيجدون في عداوته، وأذيته، ومنع الرزق عنه، وقصم عمره، فيعلم أن الأرزاق والأعمار بيد الله وحده، وذلك يثمر له الشجاعة، وعبودية التوكل على الله ظاهرًا وباطنا.

تاسعًا: وتصيبه الأمراض، وربما استعصت وعزّ علاجها، وربما استبد به الألم، ودب اليأس إلى قلبه، وذهب به كل مذهب، وحينئذٍ يتذكر أن الله هو الشافي، فيرفع يديه إليه ويسأله الشفاء، فتنفتح له أبواب الأمل، وربما شفاه الله من مرضه، أو صرف عنه ما هو أعظم، أو عوضه عن ذلك صبرًا وثباتًا ويقينًا هو عند العبد أفضل من الشفاء.

عاشرًا: أن العلم به تعالى أصل الأشياء كلها:

حتى إن العارف به حقيقة المعرفة يستدل بما علم من صفاته وأفعاله على ما يفعله ويشرعه من الأحكام؛ لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته؛ فأفعاله دائرة بين العدل والفضل، والرحمة والحكمة.

كما أن العبد يسعى إلى الاتصاف والتحلي بها على ما يليق به، فالله الكريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء، رفيق يحب الرفق، فإذا علم العبد ذلك سعى إلى التحلي بصفات الكرم والرحمة والرفق، وهكذا في سائر الصفات التي يحب الله تعالى أن يتحلى بها العبد على ما يليق بالعبد.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وأحب الخلق إلى الله من اتصف بمقتضيات صفاته؛ فإنه كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال... وهو  رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو من عباده، وغفور يحب من يغفر لهم من عباده، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظّ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم... ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه... فكما تدين تُدان؛ وكن كيف شئت فإن الله تعالى لك كما تكون أنت لعباده.

حادي عشر: أن من انفتح له هذا الباب: باب الأسماء والصفات انفتح له باب التوحيد الخالص الذي لا يحصل إلا للكمَّل من الموحدين، وتغرس في قلبه تعظيم الله تعالى.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: وهو تعالى موصوف بكل صفة كمال، وله من الكمال الذي وصف به أكمله وأعظمه وأجله، فله العلم المحيط والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة، حتى إن من عظمته أن السموات والأرض في كف الرحمن كخردلة في يد المخلوق... وهو تعالى يستحق على العباد أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته، والذل له والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

ومن تعظيمه أن يُطاع فلا يعصَى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر ولا يكفر، ومن تعظيمه وإجلاله أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه، بل يخضع لحكمته، وينقاد لحكمه.

وتعظيم الله تعالى يورث العبد الذل والافتقار بين يديه .

ويحكى عن بعض العارفين أنه قال: دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها فما دخلت من باب إلا رأيت عليه الزحام؛ فلم أتمكن من الدخول حتى جئت باب الذل والافتقار؛ فإذا هو أقرب باب إليه وأوسعه ولا مزاحم فيه ولا معوق؛ فما هو إلا أن وضعت قدمي في عتبته؛ فإذا هو سبحانه قد أخذ بيدي وأدخلني عليه.

وتورث العبد محبة الله -جل جلاله-: فمن تأمل أسماء الله وصفاته، وتعلق بها طرحه ذلك على باب المحبة، وفتح له من المعارف والعلوم أمورًا لا يعبر عنها، وإن من عرف الله أورثه ذلك محبة له .

وهذه المحبة عاطفة شرعية إيمانية وعبادة قلبية، وهي محبة إجلال وتعظيم، ومحبة طاعة وانقياد، يبرهن بها العبد على صدق عبوديته لمولاه تعالى. فالمحبة هي ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته، واعتقاد جماله وكماله وجلاله، والاعتراف بإحسانه وإنعامه.

وتورث اليقين والطمأنينة؛ فإن قلب العبد لا يزال يهيم على وجهه في أودية القلق وتعصف به رياح الاضطراب حتى يخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته بشاشة قلبه، فحينئذٍ يبتهج قلبه، ويأنس بقربه من معبوده -جل جلاله- ويحيى حياة طيبة ويصبح فارغًا إلا من ذكر الله تعالى، وذكر أسمائه وصفاته، ويأتيه من روح اللذة والنعيم والسرور وريحان الأمان والطمأنينة والحبور ما يعجز عن ذكره التعبير ويقصر عن بيانه التقرير.

قال الإمام ابن القيم: وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله، فتتلقاه بالقبول والتسليم والإذعان وانشراح الصدر له وفرح القلب به، فإنه معرفة من معرفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله؛ فلا يزال القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه، وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه، فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش؛ فيطمئن إليه ويسكن إليه ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله، حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل، بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه؛ فلو خالفه في ذلك من بين شرقِ الأرض وغربها لم يلتفت إلى خلافهم، وقال إذا استوحش من الغربة: قد كان الصديق الأكبر مطمئنًا بالإيمان وحده وجميع أهل الأرض يخالفه، وما نقص ذلك من طمأنينته شيئًا، فهذا أول درجات الطمأنينة... ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه، وهذا أمر لا نهاية له؛ فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه.

ومن عبد الله بأسمائه وصفاته وتحقق معرفة خالقه -جلا وعلا- وعظمه حق التعظيم فإنه -ولا شك- يصل إلى درجة اليقين. قال ابن القيم: فاليقين هو الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته ونعوت كماله، وتوحيده، وهذه الثلاثة أشرف علوم الخلائق: علم الأمر والنهي، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد، وعلم المعاد واليوم الآخر. والله أعلم.

ثاني عشر: زيادة الإيمان؛ فالعلم بأسماء الله وصفاته من أعظم أسباب زيادة الإيمان، وذلك لما يورثه في قلوب العابدين من المحبة، والإنابة، والإخبات، والتقديس، والتعظيم للباري -جل وعلا- {ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ} [محمد: 17].

ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص، لدلالة الكتاب والسنة على ذلك، كما في قوله تعالى: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ} [الفتح: 4] حيث تدل الآية على زيادة الإيمان بمنطوقها وعلى نقصانه بمفهومها للتلازم بين الزيادة والنقص فلا يتصور أحدهما بدون الآخر.

وقد تواترت النصوص على أن أفضل الأعمال: الإيمان بالله، والأعمال بعده على مراتبها وهي داخلة في مسماه. وأركان الإيمان بالله أربعة: الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بأسماء الله وصفاته يتضمن باقي الأركان باعتبار؛ ويستلزمها باعتبار آخر.

ومن هنا كانت معرفة أسماء الله وصفاته تحقيق لهذا الركن وزيادة لباقي الأركان؛ قال ابن تيمية: من عرف أسماء الله ومعانيها فآمن بها، كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيمانا مجملًا. انتهى. ولهذا دعا رسول الله  إلى إحصائها ومعرفتها.

كذلك فإن معرفة أسماء الله وصفاته ترسخ الإيمان بوجوده، وتعرف بحقه في الربوبية، كما تورث العبد محبةً وتأليهًا للمتصف بالجمال والكمال والجلال، ذو القوة والعظمة والجبروت؛ فيقبل على عبادته حبًّا وإجلالًا، ويبتعد عن معصيته خشيةً وخوفًا، ويداوم على دعائه وسؤاله رجاءَ ما وعد من مغفرته وجزيل ثوابه، فكانت المعرفة بذلك سبب زيادة عمله الصالح الذي يسبب زيادة في إيمانه، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله الحسنى وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه.

ثالث عشر: أن مَن أحصى تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله دخل الجنة؛ قال : ((إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة))

**المراجع والمصادر:**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**